

مؤتمر القيم المشتركة في عالم التعددية الثقافية

مسقط 23 - 25 نوفمبر 2014م

■ هبة عزت رؤوف

في إطار الحوار بين الثقافات والحضارات الذي يعد مركز اهتمام النشاط الثقافي والدعوي لوزارة الأوقاف العمانية انعقد في مسقط 23 - 25 نوفمبر 2014م المؤتمر الثامن والعشرون للأكاديمية اللاتينية تحت عنوان: «القيم المشتركة في عالم متعدد ثقافياً».

وليس هذا أول مؤتمر في العالم الإسلامي للأكاديمية، فمنذ تأسيسها عام 2000م لدعم القيم الإنسانية المشتركة وحوار الحضارات والأكاديمية تولي اهتماماً بالحضارة الإسلامية، وتدير حوارات في شتى القضايا في مؤتمرات بالعواصم الإسلامية، بدأت عام 2002م بمؤتمرين في طهران، ثم ريو دي جانيرو عن التراث الحضاري الإسلامي، أعقبهما ثالث في باريس 2003م في الموضوع نفسه، وفي 2004م عقدت مؤتمراً عن الهيمنة العالمية والخوف في الإسكندرية، ثم في إسطنبول مؤتمراً 2005م عن تجاوز الحداثة، ثم محور التعددية الثقافية في أذربيجان 2006م، ثم في عمان/الأردن 2007م عن البشرية وحقوق الإنسان، وجدليات حوار الثقافات في

■ مدرسة العلوم السياسية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة.



الرباط 2008م، وما بعد العلمانية في القاهرة 2009م، ثم في تونس 2011م عن التصورات المختلفة للديمقراطية، ومع مطلع العام «ما بعد الإقليمية» والتعددية الثقافية في ماليزيا، 2014م.

وتمَّ اختيار سلطنة عمان لجولة جديدة من الحوار في هذا المسار من التفاعل مع العالم العربي والإسلامي، لما تمثله من أنموذج للتعددية والتعايش السلمي والتنوع الثقافي، ولما تحمله السلطنة من تاريخ في مجال الإسهام الحضاري.

وَصَلْ مَا انْقَطَعَ: عَنْ سِيَّاسَاتِ الدِّينِ وَ«مَا بَعْدَ» الْأَخْلَاقِ الْعَالَمِيَّةِ

لقد بقيت أمريكا اللاتينية بعيدة عن اهتمامات دوائر حوار الحضارات في العالم العربي فترة طويلة، منذ بدأت محاولات التعاون في منتصف القرن التاسع عشر إبان حكم الخديوي إسماعيل في مصر لكن عرققتها احتلال العالم العربي، ورغم التعاون في مرحلة ما بعد الاستقلال مع المد الاشتراكي العربي ونشأة حركة عدم الانحياز والحقبة الناصرية والقومية العربية؛ فقد تعثرت ثانية بعد نكسة 1967م. وقد تداركت ذلك جامعة الدول العربية حين استجابت لطرح الرئيس البرازيلي لولا دا سيلفا أثناء زيارته لبيت دول عربية ديسمبر 2003م فكرة استضافة البرازيل لقمة الحوار اللاتيني، عُقدت في العاشر من مايو 2005م بالبرازيل القمة العربية - اللاتينية بحضور ممثلين من 22 دولة عربية و12 دولة من أمريكا اللاتينية، حيث أسست القمة أطر الحوار والتعاون المشترك بين الجانبين، فضلاً عما مثلته من نقلة نوعية في العلاقات السياسية والاقتصادية، وصدر عنها إعلان برازيليا الذي دعا لخلق فضاء جديد للتواصل والتنسيق، والبحث عن ميكانيزمات لاستغلال الإمكانيات الاقتصادية التي تتوفر للطرفين، وتقوية تعاون الجنوب - الجنوب الذي يعدّ أداة متميزة في مجال التنمية للدول المشاركة في ميادين التبادل التجاري، والسياحة، والاستثمار، إضافة إلى التنسيق حول القضايا المعروضة أمام منظمة التجارة العالمية، وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالبناء على ذلك بحوار ممتد في باليرمو 2006م ومناشط استمرت في الأعوام الأخيرة.

من هنا فإن ترحيب سلطنة عُمان باستضافة هذا المؤتمر يحمل رسالة، مفادها أن استمرار التواصل الحضاري يحتاج رعاية ومتابعة، وهو ما أخذته وزارة الأوقاف العمانية على عاتقها من خلال نشاط ممتد من الندوات والمؤتمرات عقدتها في أنحاء العالم، فضلاً عن الدور الذي تلعبه مجلة التسامح / التفاهم في مجال تدافع الأفكار وتجديد الوعي الحضاري.

افتتح المؤتمر معالي السيد/ ناصر عبد العزيز الناصر، ممثل الأمم المتحدة لتحالف الحضارات، وشدد في كلمته على أهمية حماية المنظومة الدولية واحترام القانون الدولي، وخطورة مشهد جماعات تستخدم القوة باسم الدين، والحاجة لتنسيق الجهود، ودعم دور الأمم المتحدة كإطار للنظام الدولي في مساعيها لتحقيق السلم والعدل الدوليين.

«سياسات الدين» كان الوصف الذي بدأ به معالي الوزير الشيخ عبد الله السالمي عرض ورقته في افتتاح المؤتمر، والتي كانت عن القيم المتعارفة، وكيف يمكن الجمع بين المنهج الأخلاقي للدين ومد جسور التعارف مع أنساق دينية وثقافية متنوعة.

«سياسات الدين» كان الوصف الذي بدأ به معالي وزير الأوقاف العُماني الشيخ عبد الله السالمي عرض ورقته في افتتاح المؤتمر، والتي كانت عن القيم المتعارفة، وكيف يمكن الجمع بين المنهج الأخلاقي للدين ومد جسور التعارف مع أنساق دينية وثقافية متنوعة، مستعرضاً محطات حوار الأديان في العقود الماضية، وانفتاح

دوائر الحوار الإسلامي الكاثوليكي، ثم الحوار مع الكنائس الإنجيلية الغربية، وصعود فكرة الأديان الإبراهيمية، ثم أطروحة هانز كنج عن القيم العالمية؛ وذلك لإيجاد المشترك والاعتراف المتبادل تحت مظلة التعارف، وأثر ذلك على حرص منظمة الأمم المتحدة على دور الدين في مساعيها لكفالة حقوق الإنسان. وذهبت الورقة إلى أن تفضي النزاعات والحروب وصعود الأصوليات يستوجب مواصلة الحوار؛ لاستشراف آفاق السلم والعدل ودور الدين في بناء هذه الأركان في ظل المشهد الدولي الراهن.

وكان كانديدو مندز (البرازيل) السكرتير العام للأكاديمية اللاتينية قد تحدث في كلمته الافتتاحية عن خطورة مشهد العنف على الساحة الدولية،



والحاجة للتفاعل مع مشهد الدين والسياسة في العالم العربي وصعود العنف، بما يفرض رؤية حضارية مشتركة بين الأطراف التي تدافع عن قيم الإنسانية.

سياسات الهوية والجانب الوجداني في السياسة

في الجلسة الأولى كان المتحدث الرئيس هو الفيلسوف الإيطالي جيانى فاتيمو، حيث تحدث عن الحب والسياسة وكيف يمكن تقديم مفاهيم جديدة تُروض ما في السياسة من تنازع، وقال: إن رؤيته كمتسيحي تدفعه للاحتفاء بمنح أبعادٍ إنسانية للسياسة، وبنى أطروحته على كتابات مارثا نوسباوم أحد أهم أساتذة النظرية السياسية، والحق أن تقديم معانٍ عاطفية وسامية تحكم لعبة القوة والسلطة قد كان دوماً على أجندة الفكر السياسي منذ كتابات أرسطو الأولى عن الصداقة، مروراً بالأبعاد الأخلاقية في الفكر اليوناني الكامنة خلف فلسفة القانون وغاياته من عدالة وأمن، وصولاً لإدخال رأس المال الوجداني في كثير من الكتابات النقدية للعقلانية والعلمانية الحديثة، وانتهاءً بأخلاقيات الرعاية لدى التيار النسوي.

الهوية عند فاتيمو ليست شأنًا قانونيًا ولا سلطويًا بل هي بالأساس مقترنة بالذات والوجود والإنسانية، ومن هنا يمكن البدء بالحوار بين الحضارات على هذا الأساس.

في ورقته التالية عن الهوية الأصلية ومقاومة المشروع النيوليبرالي العالمي تناول جافير سانجينييز (بوليفيا) الحالة الثقافية التي أثمرت انتخاب إيفو موراليس رئيساً لبوليفيا 2005م، وهي الحالة التي غلبت عليها الثورية الرومانسية واستعادة جذور السكان الأصليين وتحرك الشارع وحلم العدالة، لكن هذا «الحب» والشغف (إذا قسنا على تصور فاتيمو في ورقته السالفة عن زخم سياسي جديد وجداني) لم تثمر تحولاً في الاقتصاد ولا في العدالة التوزيعية، وتحرك النظام بعد وقت قصير للسير في الإصلاح، وتفاعلت قوى ريفية وعمالية ورأسمالية لتحقيق قدر من الاستقرار في المنظومة الاقتصادية لا ترقى للطموحات ولا الوعود الأولى. الهوية إذًا لا تصمد وحدها دون شروط موضوعية - هكذا تحدث جافير سانجينييز.

الوعي بالعالم والمواطنة والقيم المشتركة

هل يمكن توليد وعي مرتبط بالحقوق خارج سياقات الصراع السياسي يكفل للتجديد سيراً مستقيماً لا يعوج باعوجاج معايير التنازع ومنعطفاتها؟ يمكن القول بأن ورقة الدكتور رضوان السيد (لبنان) التي قدّمها في الجلسة الثانية هي محاولة للإجابة على هذا السؤال. الورقة التي عنوانها «حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر» تناقش مسيرة العقل الإسلامي، مع مفهوم حقوق الإنسان عبر ستين سنة، منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان،

وتدور حول عجز هذا العقل عن توليد تصور مختلف يقيم عليه تعارفاً مع العالم الذي هو جزء منه، فإما رفض تام لفكرة حقوق الإنسان «الغربية» في تقدير البعض، أو قبول بها وزخرفة المواثيق التي صدرت تحت عنوان «حقوق الإنسان في الإسلام» ببعض الآيات والأحاديث دون مراجعة لمفهوم الحق، وتقديم رؤية تبين أصالة التصور الإسلامي للإنسان. وللحق من أين أتى هذا العجز؟ يرى الدكتور رضوان السيد أنه جاء من مفارقة مشروع التجديد باتجاه تبني رؤية

**الهوية عند فاتيمو ليست
شأناً قانونياً ولا سلطوياً
بل هي بالأساس مقترنة
بالذات والوجود
والإنسانية، ومن هنا
يمكن البدء بالحوار
بين الحضارات على
هذا الأساس.**

المؤامرة، وهو ما أعجز العقل عن النهوض بمهمة تحرير المفاهيم وبناء التصورات دون السقوط في ردود الفعل المسوغة أو الناقضة.

عن الهوية أيضاً تحدث إنريك أيلامورا (الإكوادور)، مقدماً خطأً موازياً ومقارنة مفيدة حول مراوغة تأويل الهوية في الثقافة اللاتينية في تعاملها مع أصولها التاريخية لقبائل الأنديز، والتي عاشت منذ آلاف السنين على طول السلاسل الجبلية، وكان لها إسهامها الحضاري ودورها في توحيد مساحات شاسعة تحت سلطتها خاصة قبائل الإنكا. لكن اقتحام الاحتلال الغربي في القرن السادس عشر لأمريكا اللاتينية صادر تلك الهوية والثقافة، وفرض قشرة مسيحية وغربية على السطح. ورغم أن تلك الحضارة القديمة كان لها جوانبها السلبية وذكريات مؤلمة بين شعوب أمريكا اللاتينية إبان التوسع والسيطرة عبر



القرون لقبائل مختلفة، إلا أن قدوم المحتل الغربي وحّد الذهنية، فاتخذت هوية الأنديز درعاً لإعادة تصور الذات والدفاع عنها. ويرى أن كون المرء من الأنديز يعني أشياء كثيرة لا يمكن اختزالها في تاريخ مصمت ساكن، بل تستحق هذه الهوية استعادة كما تستحق تجديداً؛ لأن الهوية متجددة ومتحولة.

الصوت الثالث في الجلسة جاء من الصين، كينج ليو قدّم تحليلاً لتنامي الوعي الصيني بالعالم بعد مرحلة انغلاق، واستعادة لشعور الصين بأنها قوة كبرى خاصة مع تحولات قوى وتوازنات النظام الدولي. ورغم وجود قيم الرعاية والتضامن بجوار تصورات القوة والبقاء للأقوى جنباً إلى جنب في المنظومة الثقافية الصينية فإن الذي سيغلب هو ما ستتيحه الشروط الموضوعية، ومن ثم فإن هوية الصين مرشحة للتحول بتحول المشهد الدولي وما سيزكيه من عوامل. الحل في تقدير الكاتب هو زيادة الوعي، وهذا لن يتأتى إلا بحوار حضاري واسع مع الصين.

شروط الحوار على المستوى العالمي

في اليوم الثاني قدم السيد فريد العطاس (سنغافورة) ورقته عن العلم اللازم للحوار، متناولاً العملية التي تصاحب العلمية، والانتقال من الوهم لإدراك الواقع، وكيفية الدفاع عن هذا الحوار ومنحه الشرعية.

ويرى العطاس أن تحرير المفاهيم المستخدمة في الحوار من المركزية التي تمارسها إحدى الحضارات أمر لازم، ثم أن يكون الحوار غاياته تحريرية تخدم الغايات والقيم الإنسانية المشتركة، وأن يكون للحوار جدوى ومردود عملي إيجابي على المشاركين فيه. الأبعاد العلمية والمعرفية إذاً مركزية للحوار الثقافي والحضاري.

لكن ماركو لوشيسي (البرازيل) يأخذ الحوار في اتجاه مقابل، فيجعل الروح شرط الحوار بجوار العقل، ويستعرض المعاني المتجاوزة في التراث الصوفي، فالحوار بحث عن إنسانية مشتركة، وهذه منبتها ومنشأها الروح والقلب، ويستعرض تصورات العالم في الشعر الصوفي ويعدها مصدراً ثرياً

وجدانياً، وبذلك يعطف على بحث جيانى فاتيمو في اليوم الأول، ورؤيته أن العقلانية وحدها لا تكفي لإدارة التنازع السياسي سواء أكان وطنياً أم عالمياً.

السبيل إلى التعايش

في الجلسة الرابعة في اليوم الثاني غلب نقاش ثري فلسفي على المنصة، فقدم فرانسوا ليفونيه (فرنسا) ورقته عن العالمية الإنسانية وما تبقى من تعددية، وبرؤية علمانية تخشى من هيمنة التصور الديني على الحوار التعددي، كأن هناك إنسانية واحدة ما مشتركة، فكان تساؤله: كيف لا نتحول من استشراف استعماري مهيم إلى المقابل، وهو فرض المنظومات القيمية الكلية والكبرى

يرى العطاس أن تحرير المفاهيم المستخدمة في الحوار من المركزية التي تمارسها إحدى الحضارات أمر لازم، ثم أن يكون الحوار غاياته تحررية تخدم الغايات والقيم الإنسانية المشتركة.

خطابها على الحوار، وهو بذلك يعيد الاشتباك مع ورقتي العطاس وفاتيمو بشكل معكوس، فكيف يأمن في الحوار من لا يؤمن بعموميات الوصف الإنساني العام؟! وأين حظ النسبية في الجدل والجدلية؟

كانديدو ميندز (البرازيل) يلتقط طرف الخيط منه ليسأل عن دور العنف المسلح في مشهد الحوار، ويثير أسئلة بشأن مفهوم الخلافة الإسلامية، فإذا كانت هناك قوى ترفع لواء الدين بالقوة فما انعكاس ذلك على الحوار والمخيال

السياسي للأطراف بعضها مع بعض. وإذا كان الحوار - كما طلب العطاس - يحتاج خلق جماعة مفاهيمية مشتركة فما دور الذاكرة التاريخية في ذلك حتى نفكك إشكاليات الخصومة التي أنتجتها عسكرة حوارات مختلفة بما فيها الهيمنة الاستعمارية للغرب في المقابل؟ وكيف نتجنب فوضى العسكرة ونحن نقيم فعاليات الحوار بين الحضارات والثقافات؟ ودعا لمراجعة مفهوم القومية؛ لأنه يرى أنه في العالم الجنوبي من الكرة الأرضية يجب أن يتم تطوير مفهوم للقومية يبنى على ما قبل القومية، وهو ما كان قد أشار إليه في اليوم الأول بحث جافيير سانجيز عن بوليفيا، والثقافة الأصلية وما تطرحه من طموحات وما تفرضه عليها شبكات الرأسمالية الوطنية والدولية من قيود.



وهنا يقدم باولو بينتو (البرازيل) تجربة التعددية والتنوع في صيغ التدين عند المسلمين في البرازيل، مستعرضاً تاريخ تلك الأقلية، وأثر اعتناق الإسلام على تشكيلها وبناء الهوية الإسلامية، فالغالبية ليست من السكان الأصليين للبلاد، وهو ما فرض خصوصية وحرصاً على عدم التأثر بالروافد الثقافية للإسلام في دول الأغلبية المسلمة، وهذا فرض مستويين من الحوار داخل الجماعة المسلمة: حوار الأطراف داخلها مذهبياً وفكرياً وحوارها مع الثقافة البرازيلية الأوسع، في صيغة فريدة في تتبع خرائطها وتميز مفاهيمها.

سياسات الدمج وجوهر الديمقراطية

في اليوم الثالث يبدأ دانييل إناراتي (إسبانيا) الجلسة الخامسة بطرح إشكالية غياب الديمقراطية عن السياسة، وأن الصيغ الشكلية والمؤشرات والآليات لا تضمن وحدها توليد «حالة» ديموقراطية هي الشرط لحوار مجتمعي ثم حضاري يحترم التعدد. وي طرح هنا أهمية الفصل بين السياسة وبعض المساحات الاجتماعية، والفصل والتمايز ليس فقط في فصل الدين عن الدولة بل في فصل التنازع والصراع الذي يستبطنه المنطق السياسي عن مساحات المواطنة، وبهذا يضيف - بعد الحديث عن الحب والروح والخصوصية الثقافية والذاكرة - التضامن والتواصل الذي تتيحه فاعلية المواطنين أنفسهم في الدوائر المدنية. لكنه يدرك أيضاً أن ما يدعو إليه قد يقود النموذج الديموقراطية الجماهيرية، وهذه قد تؤدي لنقض التعددية، ومن هنا فقد أوضح في بحثه ضرورة تقسيم المساحات وتحديد أدوارها بدقة دون أن يقلل من أهمية الديمقراطية النيابية. فلا الماكينة الديمقراطية تضمن عدالة السياسات، ولا المدنية الجماهيرية تضمن المساواة والتعددية، والجمع بينهما هو الذي ينشده.

رزالي إسماعيل من ماليزيا يسعى في ورقته لبيان كيف حاولت ماليزيا أن تفعل عين ما يقوله إناراتي قبله، وي طرح صيغة التوفيق بين المركز والجهويات (المناطق)، والتقدم للحداثة مع الاحترام للتقاليد المحلية، ويبنى هذه الموازنة بين الديمقراطية والمدنية والمواطنة الفاعلة من خلال توضيح

دور الحكم المحلي في ضبط هذه المعادلة. فالديموقراطية ليست نيابية وجماهيرية فقط بل هي تتجلى في السياسات العامة والحكم المحلي الذي يتيح تفعيل دور الفرد في محيطه الثقافي الطبيعي واليومي.

لكن الورقة الثالثة في الجلسة لأنريكو رودريجز لاريتا (أوروغواي) تثير استشكالاتاً على الورقتين السابقتين، فهو لا يرى الإشكال في الدولة والسياسة بل في الثقافة، ويذهب إلى أن عدم قبول المساواة ليس أزمة النخب بل أزمة الجماعات الثقافية ذاتها، ومن هنا فالتعددية الثقافية ليست حلاً سحرياً؛ لأنها قد تؤدي لتمايز الجماعات واحترامها دون أن يتم الدمج المنشود تحت مظلة المواطنة، ودون أن يثمر الحوار السياسي بينها أفقاً أرحب من التنوع والتعدد كقيمة ثقافية مشتركة عابرة للمجموعات.

سوزان بك موريس تعيد تقديم سؤال العلم لكن من خلال فئة العلماء وأولي الأمر، وتعرض التعدد في المذاهب وفي الأديان كقيمة واضحة في تاريخ الفقه وتاريخ الحكم الإسلامي.

كيف نبني تصورنا عن «الآخر»

سوزان بك موريس (الولايات المتحدة الأمريكية) في الجلسة الأخيرة تعيد تقديم سؤال العلم لكن من خلال فئة العلماء وأولي الأمر، وتعرض التعدد في المذاهب وفي الأديان كقيمة واضحة في تاريخ الفقه وتاريخ الحكم الإسلامي.

وتستخدم المخطوطات التاريخية وما تحويه من رسوم تعبيرية تتضمن هذا الاحتواء والاستيعاب الذي بنى على قصص الأنبياء تصوراً لتنوع الشعوب والقبائل، ثم تتساءل تساؤل كانديدو مندز نفسه: كيف صارت شعارات الخلافة - من خلال تنظيم يسمى نفسه تنظيم الدولة الإسلامية - أساساً يتم عليه هدم مساجد المسلمين أنفسهم والاشتباك مع أقلييات أخرى، وتغيير خارطة التمدن والتنوع التي ورثها وحفظها التاريخ الإسلامي.

في ورقة الباجي (تونس) محاولة لتلمس كيف صاغ الغرب تصوره عن العالم الإسلامي من خلال حدثين هما أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م ثم ثورات الربيع العربي 2011م. ولكنه يرى أن السؤال الأخطر الذي



يخصّ المسلمين في هذين المشهدين هو كيفية التوفيق بين سلطة التراث وأمال الحرية؛ كي يمكن أن يكون الدين أفق تحرير وليس سلطة هيمنة. ويختم سانتياجو زابالا (الولايات المتحدة الأمريكية) بسؤال مقابل: إذا كان الدين يفقد سيطرته في الحداثة؛ وما بعد الحداثة فكيف يمكن تعويض هذه الأعمدة التي كان يقف عليها التصور الذاتي عن الوجود في الحضارات المختلفة ليحفظ القيم والتعددية؟ ولا يرى ذلك ممكناً إلا بالحوار المستمر؛ لإيجاد قواعد وجود الإنسان وليس قواعد سلطة الأديان، مدركاً أهمية الدين في المنظومة الثقافية والمجتمعية.

استشراف أفق الحوار

إذا كان ثمة درس مستفاد من هذه الجولة من الحوار فهو أن تنوع الخلفيات الثقافية للمشاركين يضمن حواراً فعالاً ويحمل لطاولة البحث ثراءً حقيقياً، لكن هل يكفي الحوار العربي اللاتيني أن تعقد له جولات بين الحين والآخر؟

لقد قامت الأطر الرسمية بالكثير من الجهد الذي حددت كثافته اعتبارات السياسة وتواتر الأزمات الواقعية على المستوى الدولي، لكن فيما يخص أمريكا اللاتينية فإن تواصلها منتظماً بين دوائر الفكر والعلم وتبادلاً تراكمياً يدمج الأجيال الشابة من الباحثين والدوائر الثقافية؛ لا شك سيكون له أثره على صياغة عالم أكثر عدلاً.

تجارب أمريكا اللاتينية في إدارة التنوع والاختلاف وروح السعي نحو العدالة الاجتماعية - التي أثمرت العديد من الأفكار والحركات عبر العقود بل القرون الماضية - تستحق المزيد من التواصل لتعميق التعارف بعيداً عن مركزية الغرب التي زحفت لحوار الحضارات. كان أنور عبد الملك المفكر العربي البارز ينادي بالتوجه شرقاً بدلاً من التوجه غرباً، ولعل التوجه جنوباً يكون هو النافذة التي تحتاج أن نوليها قدراً أكبر من العناية لتحقيق التوازن في مشهد التعددية والإنسانية المشتركة المنشود.